مجلة الدراسات التربوية والعلمية - كلية التربية - الجامعة العراقية
مؤتمر اللغة العربية وآدابها الدولي الثاني // أربيل 30 - 31 / 7 / 2025
الجزء الثاني
أيلول / 2025
doi.org/10.52866/esj.2025.18

اللغة العربية في وسائل التواصل الاجتماعي المستوى والأثر

طلال بن عبد الله بن سليمان الكلباني
سلطنة عمان / وزارة التربية والتعليم
a99499443@gmail.com

مستخلص:

تتميز اللغة العربية في وسائل التواصل الاجتماعي بحضور طاغٍ، لكنه حضورٌ يعكس حالة من الانزياح والتحول عن القواعد التقليدية، مما يخلق واقعاً لغوياً هجيناً يجمع بين الأصالة والمعاصرة. على المستوى الشكلي، يطغى استخدام العاميات بمختلف لهجاتها المحلية بدلاً من الفصحى، مما يعزز التواصل العفوي والسريع بين المستخدمين، لكنه في الوقت ذاته يؤثر على مكانة اللغة الفصحى ويحد من انتشارها في هذا الفضاء الواسع. كما يظهر ابتكار مفردات جديدة وتعابير مختصرة ومحرفة لتتناسب مع طبيعة المنصات وحدود عدد الحروف، مما يوسع من الثروة اللغوية بشكل غير رسمي لكنه يضعف القواعد النحوية والإملائية.

أما على المستوى الأثر، فإن لهذه الظاهرة تأثيرات متعددة، منها الإيجابي كتعزيز التواصل بين العرب من مختلف الأقطار، ونشر الوعي اللغوي من خلال صفحات التصحيح والنقد، وإحياء بعض المفردات القديمة وإضفاء طابع جديد عليها. إلا أن هناك آثاراً سلبية لا تُغفل، أبرزها تأثر مهارات الكتابة السليمة لدى الأجيال الجديدة بسبب الاعتياد على الكتابة العامية والخاطئة، وتشويه صورة اللغة في بعض الأحيان، وتراجع استخدامها في المجالات الرسمية والأكاديمية لصالح اللغات الأخرى أو للهجات المحلية. بشكل عام، تبقى وسائل التواصل الاجتماعي ساحة مفتوحة للغة العربية، تمثل فيها تحدياً وفرصة في آن واحد، فهي تنقلها من إطارها التقليدي إلى فضاءات أكثر ديناميكية وانتشاراً، لكنها تفرض عليها في الوقت ذاته تحولات عميقة تطال بنيتها واستخداماتها ومستقبلها.

Abstract :

The Arabic language on social media is characterized by an overwhelming presence, yet one that reflects a state of deviation and transformation from traditional rules, creating a hybrid linguistic reality that combines authenticity and contemporaneity. On a formal level, the use of colloquial dialects in their various local forms prevails over Modern Standard Arabic which fosters spontaneous and rapid communication among users. However, this simultaneously affects the status of and limits its spread within this vast space. There is also an emergence of newly invented vocabulary, abbreviated and altered expressions to suit the nature of the platforms and character limits, which informally expands the linguistic wealth but weakens grammatical and spelling rules.

Regarding the impact, this phenomenon has multiple effects. Some are positive, such as enhancing communication between Arabs from different regions, spreading linguistic awareness through correction and critique pages, and reviving some old vocabulary while giving it a new character. However, there are negative impacts that cannot be ignored, most notably the effect on the proper writing skills of new generations due to habitual use of colloquial and incorrect writing, the occasional distortion of the language's image, and its declining use in formal and academic contexts in favor of other languages or local dialects. Overall, social media remains an open arena for the Arabic language, representing both a challenge and an opportunity. It transports the language from its traditional framework into more dynamic and widespread spheres, yet it simultaneously imposes profound transformations affecting its structure, uses, and future.

مقدمة:

إن الإيمان باللّغة العربية لغة التعبير والمعرفة والجمال ، لغة القرآن الكريم كفيل لاستمراريتها في حرب اللغات الكونية التي تتبع حرب الوجود، في ظل سيطرة اللغة الواحدة المتَجة من سيطرة القطب الأوحد ، ولاسيما إذا ما عرفنا أن اللغة العربية بكل قداستها ، وأصالتها ، وقيمها العليا تتعرض لهجمات استعمارية ممنهجة وحرب تسعى إلى أخذها انحدارًا ما يُفقدها مكانتها العلية التي سطَّرها لها التاريخ منذ قرون طوال .

قد يطول الحديث عن التهديدات التي تطال اللغة العربية، ونستطيع أن نوجزها في تعرضها للانكسار والتعثر، والتخطئة، وتغيير القواعد ، ما يظهر في وسائل التواصل الاجتماعي دليل كبير على التهديد ، ومن هنا يتأتَّى عنوان ورقتنا البحثية التي سنسعى فيها إلى إظهار مخاطر وسائل التواصل الاجتماعي على جماليات اللغة العربية والمساعي المطلوبة للحفاظ عليها .

لقد ارتبطت اللغة بالانسان حتى إنَّه لا يمكن تصور أحدهما دون الآخر، ومن هنا أولى الانسان اللغة منذ أقدم العصور اهتماماً كبيراً ولا سيما في المجتمعات التي ارتبطت اللغة فيها بالدين كالمجتمع العربي. وموضوع اللغة وصلتها بالفكر . فالإنسان هو الكائن الوحيد الذي ينتج الأفكار وهو الذي يكوِّنها ، فاللغة جوهر الوجود وحقيقته، وُلِدت حين ولد، وانتظمت حين انتظم الكون؛ حاورته و تواصلت معه، وكاشفته بطاقاتها الرمزية تتلمس معانيه الكونية. وهي بهذا التسامي ليست مجرد علامات دالة ؛ يطابق ظاهر دالها باطن مدلولها، وإنما هي نظام من الرموز المتداخلة والمنزاحة عن معانيها الظاهرية المعجمية ؛ لتدل دوالها عن مدلولات غائبة في إشراقات الكون وغائرة في مجريات الواقع ؛ لتبحث عن أجوبة وجودية تزيل قلق الإنسان إزاء كونه ومعطيات حياته لا يفوتنا بالطبع قول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[1] وهذا يؤكد فصاحة اللغة العربية ووسع بيانها ، وجماليتها وتأديتها للمعنى ، فلهذا أنزل أشرف الكتب، بأشرف اللغات، على أشرف الرسل، بسفارة أشرف الملائكة، وكان ذلك في أشرف بقاع الأرض، وفي أشرف شهور السنة، فكمل له الشرف من كل الوجوه.

وعلاقة الإنسان باللغة علاقة اندماجية بدأت مع بداية الخلق، وتجلت في أعمق صورها

حين علَم الله آدم الأسماء في قوله تعالى : ﴿وعلَم آدم الأسماء كلها﴾، فالتعليم لم يكن جزئياً، وإنما

جاء كلياً مؤكداً أهمية اللغة في صناعة الحضارة الإنسانية، فلا سياسة ولا اقتصاد ولا أدب ولا

علم بلا لغة. «لقد اكتسب الإنسان إنسانيته باللغة أي أن اللغة هي التي أنسنت هذا الكائن الذي ع رف بأنه (حيوان ناطق)، بمعنى أن النطق الواعي «اللغة» : الكلام، هو الذي ميزه من سائر الحيوانات»[2] .

أهمية اللغة العربية:

إن الاهتمام باللغة العربية، والمحافظة على سلامتها وجودة النطق بها.[3] ، والتسليم بصحة قواعدها ، ومكانتها هو إيمان عميق بالتراث العربي، ليس هذا فحسب، بل هو اعتراف بوجودنا وموقعنا في التاريخ البشري ، والعمل على توعية

(1) سورة يوسف ،آية 2.

(2) علي ناصر كنانة، اللغة وعلائقياتها. منشورات الجمل، بيروت، 2009 ، ص9

(3) تفسير ابن كثير، ص. 235.

وترسيخ أساسيات الشخصية العربية ومقوماتها في مجتمعاتنا العربية .

ففي اللّغة العربية ميادين علمية وأدبية جُلَّى وعلوم ومعارف وثقافات، توصلنا بالحقيقة القائلة: إن التاريخ وحضارة الشعوب مرتبطة أساساً بوعي الإنسان لقيمة تراثه اللّغوي؛ لأنه لا يمكن أن يتمّ الارتقاء الى السمو والعلو من بين الأمم إلا ضمن فلسفة اللّغة التي تصبغ مقومات الحياة الخاصة والعامة .

فاللّغة في جوهرها هي تعبير عن مدى اهتمام الإنسان بوجوده والمضي قدماً في امتلاك مكانته السامية بين المجتمعات الغربية أو العربية .

ان قيمة اللغة العربية مرتبطة جوهريا بالقيمة الأثرية والتراثية التي تعكس قيمتها وسمو مقامها من ناحية، ومدى استمراريتها وتأثيرها في الشعوب الأخرى عبر التاريخ من ناحية أخرى.

ومن هنا نستطيع القول : إنه لا يمكن لأي لغة أن يكون لها شأن وقبول عند الآخر إلا اذا كان لها تأثير كبير، وتحمل في طياتها ما تجعل من الإنسان أكثر جاذبية لها و استخداماً في سبيل تحقيق آماله وطموحاته في الزمان و المكان.

ورغم المقام الباسق التي كانت اللغة العربية تتربع عليه، وذلك من خلال صبغتها القدسية بارتباطها بالنصّ المقدس في القرآن الكريم، و قيمتها الثابتة القائمة بمقام التقدم العلمي والأدبي الذي شهده تاريخ المجتمعات العربية ، إلا أنها شهدت تراجعاً واضحاً وكبيراً ، ليس على المستوى المحلي والعربي فحسب وإنما على مستويات أبعد وأعمق من ذلك ، فهي لم تتأثر في المجتمعات والشعوب الأخرى ، بل عند من انتسب إليها و تكلم بها. لأنهم لم يروها لغة علم وعلماء من جهة، ولم تعد لغة توفير جودة الحياة والرفاهية من جهة أخرى، بفعل سبب رئيس وهو توحّش منظومة الغزو الثقافي و ضعف وهوان مجتمعاتها من جهة أخرى. وتضييع اللّغة ما بين حروب العولمة و الحداثة وقسوة الجهل .

وهذا يعود إلى أسباب جوهرية منها : الغزو الاستعماري لأغلبية مجتمعات العالم العربي من ناحية، والانحراف عن التوجهات والمناهج العلمية التي تسهر على الارتقاء باللغة العربية وجعلها مادّة جوهرية في المنهاج الدراسي من ناحية أخرى.

فقد أعاد الغرب النظر في منهجيته الفكرية وأولوياته فيما يتعلق بقيمة اللغة كأداة استراتيجية في غزو الشعوب و الأمم الأخرى و محاولات إخضاعها إلى طاعته في شتى مجالات الحياة. ومن ثمّ جعل المادّة العلمية مرتبطة جوهريا باللغة و استبدل الصبغة القدسية للغة بالنصّ الديني بقدسية العلم. حيث قال الله تعالى «اقرا»[1].

لقد أوَّل الغرب الكلام موضوعياً في ظاهره وباطنه ، واستطاع أن يجعل من اللغة قيمة ثابتة مرتبطة جوهرياً بالبحث العلمي والإصدارات العلمية، مستغلاُ ضعف اقتصاديات المجتمعات العربية وفقرها . فهم قد قاموا بتمرير ثقافتهم من خلال اللغة العلمية وفق أسلوب ممنهج للسيطرة على الشعوب المستضعفة عبر تهميش لغتها الام وتقزيمها ، وإبقائها لغة استهلاكية لا معنى لها، ولا دلالات، وصولاً إى احتقار الفرد لنفسه في المجتمعات العربية ، ولاسيما الميلمة منها.

مما لا شك فيه أن قيمة اللّغة ومقامها العلي مرتبط ارتباطاً وثيقا وجوهريا بقيمة البحث العلمي بوصفه عاملاً رئيساً في إبراز عقل الإنسان ؛ إذ تمسي

(1) سورة العلق، اية عدد 1

اللغة بمنزلة القيمة الوجدانية الكاملة «فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله»[1].

لذا يحاول الغرب الاشتغال على عدم نشرها والارتقاء بها ، وعدم وضعها في سلم الأولويات من حيث المادّة التراثية المشكّلة لأهم مقوِّمات الشخصية الاجتماعية والعمل على حجبها وعدم بثّها في الشعوب طوعاً وكرهاً وعدم تمرير من خلالها الثقافات وسيكولوجية العادات والتقاليد بغاية استبدال مميّزات وخصوصيات هوية الشعوب الأخرى ومزيد من السيطرة والاستعباد والاستغلال. فاللغة انتماء ولكنها أيضا ممارسة. ومن يرغب عن لغته يمكن أن يخون انتماءه وقابلاً لان يكون مستعمراً.

اللغة العربية هوية:

ليست اللغة أصواتاً وكلمات، ولا أداة تواصل بين البشر فحسب، وإنما هي ذاكرة الأمة الجماعية التي تحفظ تراثها وتاريخها. فهي الركيزة الأساسية التي تقوم عليها هوية الأمة وهي وعاء الفكر وأساس الصلة بين الماضي والحاضر، والمعبرة عن تجارب الأمة في التاريخ. فهي الرابط بين الماضي والحاضر، وطريق إلى المستقبل، ومن هنا فإن إنتاج المعرفة في الأمة ما وبناء الحضارة لا يمكن أن يتم إلا باللغة فهي درب النمو الذي يفيد من التجارب الإنسانية بعيداً عن التواكل، والبحث عن الحلول الجاهزة.

وإذا كانت اللغة حاضنة لتعبيرات الإنسان في الوجود، فإن مفرداتها تحيا وتكتسب دلالتها واستمرارية وجودها وتوالدها من خلال الاستخدام الإنساني لها، فالإنسان مسؤول عن إحياء مفردات اللغة أو موتها، وهذا يؤكد جدلية العلاقة بين الإنسان واللغة.

لم تقم اللغة بدور وظيفي فقط باعتبارها أداة التواصل الاجتماعي بين الناس، وإنما "يرى فيكوتسكى أن للغة وظيفتين مختلفتين لهما نفس المستوى من الأهمية. أولهما، الاتصال الخارجي للإنسان مع بقية أبناء جنسه من البشر، والثانية، التحكم الداخلي بأفكاره الداخلية[2]

اللغة العربية في وسائل التواصل الاجتماعي :

أثرت وسائل التواصل الاجتماعي على اللغة العربية بصورة كبيرة حيث يعاني الشباب من إدمان السوشل ميديا ، وهم الأكثر استخدامًا لبرامج التواصل الاجتماعي ولعدم امتلاكهم مهارات اللغة العربية ، فإنهم يتخلون عن الكتابة باللغة الفصحى ويكتبون باللغة العامية ، ومع مرور الوقت يفقدون القدرة على الكتابة بالفصحى وتبقى العامية لغتهم المفضلة ولا يتذكر الشباب ما تعلموه من قواعد اللغة العربية وحفظوه عند كتابتهم على السوشل ميديا .

انتشرت وسائل التواصل الاجتماعي كالنار في الهشيم بين مختلف فئات المجتمع ، وتحولت هذه التقنيات من ساحات للاجتماع بين أبناء البلد الواحد إلى وسائل اختلاف وتشرذم وتمزق، وميادين للتفرقة .

أشهر وسائل التواصل الاجتماعي هو الفيسبوك وتويتر وانستغرام وواتس آب وبإمكان الشخص المشترك فيها كتابة ما يشاء من يراء أو تعليقات أو مواقف أو صور ..

تسهم السوشل ميديا بما لها من تأثير على اللغة العربية ، بضعف اللغة ومحاولة تهميشها واندثارها،

(1) سورة الروم، اية عدد30.

(2) د.جودث جرين، التفكير واللغة. ترجمة: عبد الرحمن العبدان. ط 1 ، دار عالم الكتب، الرياض، 1990 ، ص 102 .

في حين تتقدم اللغة الإنكليزية عليها وتتمدد في أماكن أخرى وبلدان أخرى على حساب لغة أهلها، وتحتل الآخرين مشاعر الخوف من أن تضع تقنية المعلومات والاتصالات وعلى رأسها الأنترنت التي تسيطر عليها اللغة الانكليزية نهاية للألسنة الأخرى في مخاطر كبرى تواجهها الإنسانية .[1]

أضرار وسائل التواصل على اللغة العربية:

أصاب اللغة العربية ضرر كبير من وسائل التواصل الاجتماعي، إذ يستطيع أي شخص نشر ما يشاء فيها نظرًا لغياب الرقابة ؛ إذ لا رئيس تحرير يديرها، ولا مصحح لغوي يتولى ضبط المفردات لغوياً لذلك نقرأ على الصفحات الالكترونية أخطاء أسلوبية وصرفية ونحوية وإملائية ، وقد يرتكب الأخطاء من يدعون صفة الشعراء فيسبغون على أنفسهم لقب شعراء وأدباء ويصبحون نموذجًا أعلى لمن يرون في أنفسهم القدرة على الإتيان بمثل ما كتبوا من أدب مزيف، فتنتشر اللغة الركيكة والمضمون السطحي الذي لا يحمل معنى، ولا فكرة، ولا لغة بليغة.

تأثير وسائل التواصل على لغة الكتابة :

في نظرة إلى الوسائط الموجودة في برامج المحادثات نرى أنها تتضمن برنامج للحوار بالكتابة السريعة التي تقودهم إلى التخلي عن الفصحى لأنها تحتاج إلى حفظ القواعد اللغوية وتطبيقها، وتحتاج إلى تفكير في كتابة الكلمات، وضبطها، وقد تنتقل المحادثة إلى العامية ، فقد يتم إدخال بعض الأحرف الإنكليزية أو الأجنبية الأخرى إلى اللغة العربية ظنّاً منهم أنه نوع من الحضارة والتطور، لنقع -للأسف الشديد- أمام لغة خالية من الجمال.

ولنا أن نستحضر بعض الأمثلة التي تؤكد استخدام المتحاورين على شبكات التواصل الاجتماعي، استخدامهم للغة العامية؛ إذ يحضرني الآن جملة عبر فيها أحد الطلبة عن ترحيبه بي قائلا - غير ملتزم بالقواعد الإملائية: (مشتاج كتير إلك أستاذي).

وإحدى الطالبات تقول لزميلتها على صفحة الفيس بوك بمناسبة عيد ميلادها:

(كل عام وأنتي بخير ...)

- انتقال أضرار وسائل التواصل الاجتماعي إلى المثقفين :

من المخاطر التي تنتج عن اللغة الامية واللغة المليئة بالأخطاء النحوية والتركيبية والإملائية انتقال هذه الحالات من فئة الشباب إلى فئة المثقفين الذين ينبغي أن يكون دورهم الرئيس الارتقاء باللغة العربية، والتركيز على جمالياتها، وتأكيد أهميتها بوصفها لغة مقدسة فهي لغة القرآن الكريم، وليس دورهم المشاركة في الهبوط بمستواها .

لقد غدت وسائل التواصل الاجتماعي مسرحًا للغات العامية المختلفة المنتشرة في الوطن العربي، فمثلاً نلاحظ أن المصريين -مثلًا: يتحدثون بالعامية، ولا يقتصر الامر عليهم إنما يصل الحديث باللهجات العامية إلى دول أخرى ، كلبنان ، والخليج العربي ، والمغرب العربي .

وقد لا يُفهم ما يكتبونه لنشعر بأنفسنا أننا أمام لغات جديدة متعددة ومختلفة تفتقد إلى المعايير العلمية والضوابط، وقد يصل الأمر إلى الاختلاف والاشتباك والتناحر الناتج عن سوء الفهم المتبادل ويحدث هذا في الوقت الذي توجد فيه لغة واحدة تجمعنا ، و يبدو أن ثمة مخططاً مدروسًا وحرباً لغوية قائمة على لغتنا الفصيحة وقاد مسيرة الكتابة

(1) عبد الحميد بسيوني ، شبكات المعلومات ومصر اللغة العربية ، كتاب الهلال ، مؤسسة دار الهلال ،، القاهرة ، أغسطس ، 2015، ص104.

بالعامية ، ثم سرنا خلفه دون وعي بخطورة ما نفعل، فقد آثرنا السهولة على الحفاظ على لغتنا والاعتزاز بها .

– آثار استخدام اللهجات في الكتابة :

لا بد لنا من معرفة أن التركيز على اللهجات المحلية في أثناء الكتابة والتأليف يعدُّ أمراً خطيراً يتعلق بصلاحية اللغة العربية بوصفها خزانة تستوعب منجزات الحضارة الحديثة والتعبير عنها، ويدخل في إطار ذلك :

إن ما قيل فيما يخص صعوبة استخدام الحروف الهجائية العربية في الكتابة، ولاسيما الدعوة إلى استبدال الحروف الأجنبية بها ، وهي دعوة تبناها في فترات معينة من تاريخنا المعاصر عدد من كبار المفكرين ، كما يدخل فيها الدعوة إلى استخدام اللغات الأجنبية في تدريس بعض العلوم كالطب والهندسة، وهو يزعمون أن اللغة العربية ليست لغة علم ، إنما لغة أدب تحتاج إلى الدقة المطلوبة في العلوم الحديثة، ولا تستطيع استيعاب المصطلحات العلمية المستحدثة وإنها لم تكن لغة للعلم إلا خلال فترة قصيرة نسبياً في العصور الوسطى [1].

دور اللهجات المحلية في تفتيت اللغة العربية على وسائل التواصل الاجتماعي :

تعد الكتابة باللهجة العامية على وسائل التواصل سبباً من أسباب تدمير اللغة التدمير الذي يأتي من ورائه تقسيم الوطن العربي ، وتفكيك الروابط القومية بين أقطاره. وإذا كُتِبَ لهذه اللغة عامية كل قطر إلى لغة مستقلة فإن الانقسام يكون سهلًا سريعًا ، ويحل الاختلاف والتناحر بدلًا من الحوار والتفاهم ، عن طريق إشعال نار الفتن ،و انتشار الجهل بصورة كبيرة جدًّا . العامية لن تكون لغة راسخة للتعليم ، ولن تكون هناك كتب ومراجع كافية بها ، وبهذا تتحول دول الوطن العربي من كيان موحد إلى مجموعة من البلدان المفككة التي لا يجمع بينها رابط فتسهل السيطرة عليها من قبل الدول التي تسعى إلى استغلالها ونهب خيراتها.

إن العمل الدؤوب على تبني اللهجات العامية على الواتس آب والفيس بوك بعيداً عن استخدامات اللغة الفصحى قد يقودنا في النهاية إلى هدم ما يربط بين العرب في حين أن اللغة المشتركة هي العامل الأساسي والعماد الحقيقي لبناء أية منظومة قومية وسياسية.[2]

في دراسة ميدانية على وسائل التواصل الاجتماعي كان للدكتورة غيثاء قادرة أستاذة الادب والنقد في جامعة تشرين من سورية دراسة حول الكتابة باللغة العربية على وسائل التواصل الاجتماعي، فهي ترفض التهجين اللغوي ، وترى أن استسهال الشبان اللهجات واللغة المحلية الدارجة المليئة بالأخطاء يؤثر سلباً في عقولهم وأفكارهم ، فهم لايتذكرون القواعد ولايطبقونها، هؤلاء الشبان قاموا باختراع لغة يتخفون وراءها، ويسيئون من حيث لا يدرون إلى مكانة اللغة العربية وجمالياتها، فنراهم كثيراً ما يستخدمون كلمات أجنبية تعبيراً عن تطورهم اللغوي، مثل : (بونجور، بونسوار، كدمورنينغ، أوك، ثانكيو ...) وغير ذلك من الفوضى اللغوية وعمليات التهجين. ويصف الدكتور خالد فهمي وهو أستاذ البلاغة في جامعة الإسكندرية، يصف هذا الاستخفاف بالجهل المتفشي عمداً أو جهلاً، وهو ما عبّر عنه الكاتب والسيناريست المصري

(1) أحمد أبو زيد، هوية الثقافة العربية ، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2004، ص268.

(2) د. كمال بشر ، اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم ، دار غريب، القاهرة ، 1999، ص266.

عبد الرحيم كمال قبل أيام في قوله : للأسف إن من يكتب (لاكن) انتصر على الذين يكتبون (لكن) وصاروا أغلبية، بل صاروا نخبة تتحكم وتحكم على أذواق وسلوك الآخرين، لقد صارت الصفوف الأولى يجلس فيها من يكتبون (إنشاء الله) و(الله وأكبر)، ولا عزاء للباقين سوى يوم القيامة".

وقد انتشرت سابقاً على وسائل التواصل الاجتماعي عاصفة من الانتقادات تتناول جزءاً من اللهجات المستخدمة في أغاني مطبوعة في كتب مدرسية ، الأمر الذي أثار تساؤلات حول مدى تأثير لغة (السوشيال ميديا) والمؤثرين بها في اللغة العربية، والحركة الثقافية المرتبطة بها بشكل عام.

أهم الأسباب في انتشار اللغة المحكية: ليس خافياً علينا أن للسياق الحضاري والثقافي أثراً كبيراً في ذلك ؛ فنحن نرى أن المؤسسات التي تطلب عمالاً وموظفين لا تطلب أية شهادة إجادة للغة العربية الفصحى، في الوقت الذي يشترطون فيه اللغة الأجنبية كشرط للعمل، وهذا السياق جعل االلغة الدارجة المكتوب بها في وسائل التواصل منافية لإتقان اللغة العربية، لأن المستخدم يراها أقرب لطبيعة وسائل الاتصال والسياق المحيط بها.

ووفقاً لأحدث إحصائيات موقع «إحصائيات عالم الإنترنت» فإن اللغة العربية احتلت عام 2022 المرتبة الرابعة ضمن أكثر 10 لغات استخداماً على الإنترنت، مسجلةً نحو 237 مليون مستخدم نشط للإنترنت، بواقع 5.2 في المائة على مستوى العالم، لتأتي بعد كلٍّ من مستخدمي اللغات الإنجليزية والصينية والإسبانية.

إن هذا الخليط اللغوي الجديد من الرموز والأحرف والأرقام واللّهجة العاميّة، استنطق لغة جديدة غريبة تعبّر في جوهرها عن فقدان الهوية وإفراغ اللّغة من قيمتها، قد نطلق عليها اللغة (الفيسبوكية)، ويستخدمها رواد التواصل الاجتماعي ومستخدموه لأنها سهلة وسريعة ومفهومة.

وكانت دراسة أخرى أجرتها الباحثة السعودية ظافرة الأحمري، بكلية العلوم والآداب بجامعة «الملك خالد» السعودية، عام 2015، قد استقصت "الجانب السلبي والتأثير البالغ على اللغة العربية من مستخدمي وسائل التواصل"، وعززت بحثها باستطلاع للرأي قوامه 460 شخصاً من مستخدمي وسائل التواصل تراوحت أعمارهم من 16 إلى 40 عاماً، وأوضحت نتائج الدراسة أن 52 في المائة منهم يرون أن تلك الوسائل أثّرت بشكل سلبي على اللغة العربية.

ورأى أساتذة كثر في جامعة الإسكندرية أن أبرز الأخطاء التي تشوب اللغة على مواقع التواصل سببها «السرعة والخفّة التي يتعامل بها رواد (السوشيال ميديا) من ناحية، وافتقارهم من ناحية أخرى لأساسيات الإملاء والنحو، وعدم إدراكهم أهمية ذلك، بالإضافة إلى طغيان العامية على تعاملاتهم، ومع ذلك فكثيرون منهم يسعون للتعلم، ويقصدون صفحات المبادرات اللغوية مثل (اكتب صح) و(نحو وصرف) و(صحح لغتك) و(كبسولات لغوية) التي حققت نجاحات لا يمكن إغفالها، وتنشر يومياً تقريباً دروساً لغوية بلغة بسيطة ومشتبكة مع استخدام اللغة اليومي»، كما يقول في حديثه لـ«الشرق الأوسط».

ويضيف مصطفى: «من أشهر الأخطاء التي يقع فيها مستخدمو شبكات التواصل الخلط بين الهاء والتاء المربوطة، وكتابة ألف الوصل وهمزة القطع خطأ، وعدم التمييز بين الألف المقصورة (ى) والياء ، لكن المثير للدهشة أنهم ليسوا وحدهم

من يفعلون هذا، فالخطأ يمتد للمواقع الإخبارية الكبيرة وبعض الصفحات الشهيرة، بالإضافة إلى الأخطاء اللغوية التي تحاصرنا ليل نهار في مترو الأنفاق وماكينات صرف الأموال، ولافتات المرور والمحال التجارية، مما يشي بأنها مشكلة عامة ولا تخص فئة دون غيرها». ويجتهد بعض مستخدمي «السوشيال ميديا» المتحدثين بالعربية، في تطويع مصطلحات «وسائل التواصل» الإنجليزية الأكثر تداولاً ضمن تركيبات عربية هجينة، مثل: «أبلّك» المأخوذة عن مصطلح block، و«أشيّر» المأخوذ من تعبير share، و«أَكْبَيَر» من copy، و«أدلّت» من delete... وهي التعبيرات التي يقول عنها الباحث في مجال الإعلام الرقمي خالد البرماوي إن «المستخدمين عادةً ما يبتكرون استخدامات يرون أنها مناسبة لإيقاع منصات التواصل الاجتماعي، سواء باستخدام ألفاظ مُحرَّفة عن الأجنبية أو لاتينية مُعربة»، والأخطر، على حد تعبيره هو «اللجوء للتشويه، فيصبح اللفظ لا هو من اللغة الأم ولا هو أجنبي»، كما يقول لـ«الشرق الأوسط».

ويرى البرماوي أن وسائل التواصل الاجتماعي بما لها من خصوصية السرعة في التواصل، أثّرت بالسلب في الكثير من اللغات وليس العربية فقط: «أثرت (السوشيال ميديا) على اللغات، خصوصاً مع طبيعة الإيقاع السريع لتلك الوسائل، والحاجة المستمرة لاختصار الكلمات، وتلك السرعة لم يكن معظم علماء اللغويات مستعدين لاستيعاب خصوصيتها».

ويرى الخبير الرقمي أن مشكلة اللغة العربية تعد مضاعفة مع «عدم وجود علاقة قوية بين المبرمجين واللغة العربية، علاوة على أننا دخلنا عصر (السوشيال ميديا) في وقت تعاني فيه المحتويات العربية من ضعف لافت، حتى الترجمة التي توفرها بعض المواقع إلى العربية تتسم بالركاكة حتى الآن». وأشار إلى أن «غالبية مستخدمي وسائل التواصل الاجتماعي في العالم العربي هم من جمهور الشباب، ما يعطي مؤشرات حول استهلاك اللغة والميل لاستخدام المصطلحات السائدة في ثقافة (السوشيال ميديا) دون تعريب»، على حد تعبيره.

الحلول والتوصيات:

لابد من تأمل كثير من صفحات المؤثرين على مواقع التواصل الاجتماعي قائلاً: «كثير من تلك الصفحات هي لصناع محتوى لديهم آلاف وأحياناً ملايين المتابعين، ويمكن من خلالها رصد أخطاء إملائية فادحة وصياغات ركيكة، تكاد تقترب من الأخطاء التي كان يرتكبها من يتعلمون القراءة والكتابة»، مضيفاً: «قرأت منذ قليل في منشور يتابعه آلاف المتابعين كلمة (الكبره) بدلاً من (الكبرى)، وهذا خطأ يمكن مصادفته عشرات المرات في اليوم الواحد»، كما يقول في حديثه لـ«الشرق الأوسط».

فالمفردات التي خرجت من جعبة ثقافة (السوشيال ميديا) لها في الغالب مرادفات عربية، فبدلاً من كلمة (أبلّك) هناك بديل فصيح وهو (أحظر) وبدلاً من (عملت سيرش) هناك كلمة (أبحث)»، موضحاً أن «المشكلة ليست في إتاحة البديل العربي، بقدر ما هي أزمة ثقافية في تلقي البديل العربي بنوع من الشعور بالدونية أو الخوف المجتمعي من الاتهام بعدم العصرية».

«ركاكة» التعبيرات المتداولة أو عدم الاعتناء باستخدام اللغة العربية هما انعكاس لحالة أشمل من الانحدار الثقافي بشكل عام، حسب عبد المولى الذي يُشبّه الوقت الراهن بالظروف التي واكبت

كتابة الأديب والمؤرخ ابن منظور لكتابه العلامة «لسان العرب»، الذي كتبه في وقت كانت تعاني فيه اللغة العربية من تشتت وانحدار ثقافي واستغناء من جانب أهلها واللجوء للغات الأجنبية، وهو الكتاب الذي صاغ في مقدمته سبب كتابته له، وقال فيه: «جمعت هذا الكتاب في زمنٍ أهلُه بغير لغته يفخرون، وصنعته كما صنع نوح الفُلك وقومه منه يسخرون، وسمّيته لسان العرب».

فالسوشيال ميديا» بأنها آلة تأثيرية أكبر من أي وسيلة إعلامية أخرى، قائلاً: «أتصوّر أن الحديث عن تفصيح (السوشيال ميديا) كمبادرة لن تنجح دون مخاطبة المؤثرين على وسائل التواصل الاجتماعي أنفسهم ومحاولة جذبهم لاستخدام مفردات عربية سليمة، فالمتابعون لصفحة (مجمع اللغة العربية) نفسها لا يتجاوزون 110 آلاف متابع، وجمهورها هم من محبي اللغة العربية بالأساس، لذلك فاللجوء لمبادرات مثل (قل ولا تقل) سيظل تأثيره محدوداً في النهاية، إذا ظلت بمعزل عن المؤثرين الحقيقيين على (السوشيال ميديا)، وتصبح عندها كالسباحة ضد التيار».

تتعرض اللغة العربية لهجمات شرسة، ومعاول تحاول النيل من وجودها وكينونتها، واتهامها بأبشع التهم من الخارج المحتل، والداخل ابن اللغة، إلا أنها مازالت قادرة على الصمود رغم قسوة الهجمة، لأنها تمتلك مقومات القوة الداخلية التي تجعلها تواجه الداخل والخارج . لم يكن تقهقر اللغة العربية في العصر الحديث نتيجة ضعفها، وإنما يكمن العجز في قدرات أهلها على تجديد مفردات اللغة وتطويعها وفق معطيات العصر وتقدمه العلمي والتكنولوجي، فحدثت فجوات بين اللغة العربية ومصطلحات العصر الحديث، دفعت أهلها لهجر لغتهم الأم واللحاق بركب اللغات الأخرى، اعتقاداً منهم أن العربية لم تعد قادرة على مواكبة العصر التكنولوجي الحديث، واقتصرت النظرة إلى العربية على أنها لغة أدب وشعر وليست لغة علم وتكنولوجي لقد تجاهل العرب في العصر الحديث الدور الذي أدته اللغة العربية في بناء حضارة إنسانية امتدت لقرون عدة في التاريخ الوسيط، إذ كانت العربية «هي اللغة العالمية الأولى لغة العلم والفكر والاقتصاد، وحرر الحرف العربي عشرات اللغات غير المكتوبة وأدخلها عالم التدوين، وتعايشت الثقافة العربية الإسلامية مع ثقافات الشعوب التي ارتبطت معها بالعقيدة ولم تحاول بها طمسها أو استلابها، ولكنها تعاملت معها أخذاً وعطاء فأغنتها واعتنت، وقبلت دون تميز ولا تمييز من استطاع أن يضيف إلى قدرتها بل إنها كرمت ذلك وشجعت عليه.

المراجع:

1. أبو زيد، أحمد. (2004). هوية الثقافة العربية. القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة.

2. بشر، كمال. (1999). اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم. القاهرة: دار غريب.

3. بسيوني، عبد الحميد. (2015). شبكات المعلومات ومصر اللغة العربية. القاهرة: مؤسسة دار الهلال. (كتاب الهلال، العدد أغسطس 2015).

4. جرين، جودث. (1990). التفكير واللغة. (عبد الرحمن العبدان، مترجم). الرياض: دار عالم الكتب. (طبعة 1).

5. كنانة، علي ناصر. (2009). الغة وعلائقياتها. بيروت: منشورات الجمل.

6. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي. (1419 هـ - 1999 م). تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير). (محمد حسين شمس الدين، محقق). بيروت: دار الكتب العلمية / منشورات محمد علي بيضون. (طبعة 1).